أكدت أن رسم الطوابع مهمة وطنية

هبة مكداشي: أحلم بتصميم العملة اللبنانية

بيروت: نذير رضا – تصوير: محمد عزاقير

تصاميمها تشبهها. إنه أبسط تعريف لهبة مكداشي، الفنانة التي صممت عشرة طوابع توثق فنانين ومبدعين لبنانين، وأصدرتها وزارة الاتصالات أخيراً. رقيقة، هادئة، ودبلوماسية، مثل طوابعها التي ترى في تصميمها «مهمة وطنية تتخطى الأثر الفني، لما تتضمنه من مفاهيم تجمع اللبنانيين ولا تفرقهم».

عُرفت مكداشي بمشروع العملة العربية الموحدة (الدينار العربي) الذي تقدمت به عام تخرجها في الجامعة. كانت فكرة مبتكرة، تشير إلى هوية فتاة تفكر بطريقة مختلفة عن السائد.. لكن بقاء المشروع من دون تنفيذ، ومجرد حبر على ورق، حول اهتمامها إلى تصميم الطوابع البريدية، فصممت حتى الآن ما يزيد على 60 طابعاً، وتعترف بأن المجموعة الأخيرة التي صدرت، «هي الأفضل بينها».

في هذا اللقاء، تحدثت مكداشي عن مشروعاتها، وكذلك أحلامها وطموحاتها.

من يحاول التعرف إليك عبر موقعك الإلكتروني، لا يجد المعلومات الكافية عنك... ألا تجيدين تعريف نفسك؟

أصعب مهمة عندي هي تقديم نفسي. هذه الصعوبة، تتمثل في عدم قدرتي على التعريف بعملي، علماً أنني أعرف أدقّ تفاصيله. ولكنني لا أجيد تقديمه إلى الرأي العام، من المصاعب الأخرى التي تواجهني، كيفية تقسيم العمل. فعملي متنوع، ولا يمكن تقسيمه. لذلك، لجأت إلى الاختصار والتعريف المبسط بمشروعاتي وأعمالي عبر موقعي الإلكتروني: www.hibamikdashi.com.

حين نجري مقارنة بين موقعك ومواقع الآخرين، نلمس هذا الضعف عندك، علماً أن المشهورين، بحسب علم النفس، نرجسيون؟

لست نرجسية. وكما قلت لا أجيد تقديم نفسي والتباهي بما أقدمه. تجاربي العملية، تؤكد أن عملي يعرّف بي، وليس علاقاتي العامة. المتصلون بي، يتعرفون إليّ عبر أشخاص عملت معهم.

أليس هذا تقصيراً منك؟

هذا طبعي.. أنا لا أجيد التعبير عن نفسي، أو شرح ما أقوم به.

ألأنك فتاة عملية؟

نعم. فأنا أفضّل أن يكتشف الناس عملي، وأكره الشوفينية والدعاية.

العملة العربية الموحدة

حسناً، كيف تقدمين نفسك للقارئ؟

أنا أستاذة لمادة التصميم الفني في الجامعة اللبنانية الأمريكية.. درست التصميم الفني في الجامعة الأمريكية في بيروت، علماً أنني لم أكن أهتم كثيراً بهذا الاختصاص، لأننا نعيش في مجتمع يحبّذ دراسة الطب والهندسة والمحاماة... بعد الفصل الأول، تحدّيتُ نفسي، واكتشفت ماهية هذا الاختصاص فأحببته، وأكملت به حتى قدمت شيئاً مختلفاً في النهاية.

ما هو؟

مشروع العملة العربية الموحدة.

كيف خطرت هذه الفكرة على بالك؟

في الأساس، أنا أحب الخط العربي، ذلك أنني فخورة بجذوري وهويتي العربية. الخط جزء من التراث، علماً أننا ننظر إلى هذا الفن بالطريقة التقليدية. كنت أطرح على نفسي سؤالاً: كيف يمكن تقديم هذا الفن بطريقة مختلفة ومعاصرة؟ ومن هذا الشغف، خطرت على بالي فكرة الدينار العربي الموحد. لقد شرعت في هذا المشروع كي أتمكن من الإجابة عن أسئلة متعلقة بهويتنا العربية، وتقديم أنفسنا إلى الآخرين. كانت العملة الموحدة بمثابة الفكرة التي ستجيب عن أسئلتي، خصوصاً وأن لها حضوراً بين أيدي الناس يومياً. في الغرب، تستخدم العملة لغاية تتجاوز مفهوم النقد المالي، إذ ينظرون إليها على أنها وسيلة ثقافية للتعريف بالشعوب، مثل العملة الأوروبية التي سبقت اليورو. وبعد استشارة الأساتذة، انطلقت في المشروع بهدف إظهار شيء معاصر، وتذكير الناس بحالنا وتراثنا وثقافتنا.

هل كان الانطلاق نتيجة دفاعك عن هذه الثقافة؟

كنت أؤمن إلى حد كبير بالمشروع. بطبعي، أخضع

المشروعات للتقويم قبل الشروع فيها. المشروع كانت فكرته رائدة ومميزة ومؤثرة. كتبت استمارة ووزعتها على 300 مواطن عربي أسألهم فيها عن معلومات أحتاجها إلى تنفيذ المشروع. من تلك الاستمارات، توصلت إلى فكرة المشروع وهي وضع تاريخ العلوم عند العرب على وجه من العملة. فيما أصور فنون العمارة على الوجه الآخر منها. وهي «الكلبغرفي» و«أرابيسك» و«المقرنط» و«القناطر». أما الوجه الذي يتضمن العلوم عند العرب، فيصور العلوم التي غيرت مجرى البشرية، مثل علمي الفلك والطب.

يبدو أنك ملتزمة سياسياً بقضية الهوية العربية؟

بصدق، لم أطرح هذا السؤال على نفسي، ولم أفكر بهذه الطريقة. لكن الجو الذي نشأتُ فيه أثر عليّ. ما أعرفه أنني لستُ فتاة غربية، رغم أنني لستُ ملتزمة بالتقاليد العربية القديمة. أنا غير منفصلة عن الواقع، ومؤمنة في الوقت نفسه بوجوب إعادة التفكير في

■ تصاميمي تشبهني.. أنا هادئة ودبلوماسية وبسيطة

■ مشروع الطوابع يجب أن يُستكمل ليوثق شخصيات فنية وأدبية أخرى

■ لستُ نرجسية... ولا أجيد تقديم نفسي

واقعنا، وبضرورة قراءة تاريخنا بطريقة معاصرة.

أمل وإحباط

هل كنت مؤمنة بأن شيئاً ما يمكن أن يتحقق على صعيد توحيد العملة العربية؟

بالتأكيد.. كنت أرى المشروع قاب قوسين أو أدنى من التحقيق.

ألم تسرفي في الأمل؟

لا.. لم أبالغ في الأمل. كنت مصممة على تصميم خمس فئات من العملة، ومع ذلك، صممت نظام حماية العملة من التزوير، على أمل تحقيقها يوماً. كان مشروعاً متكاملاً، وأطلقت عليه «الدينار العربي» بناء على أجوبة الأشخاص الذين خضعوا للدراسة.

متى صُدِمتِ؟

أثناء مناقشة المشروع. يومها دخل المناقشون في نقاش حول فكرة المشروع، انطلاقاً من سؤال: «كيف يمكن القول إن هناك شيئاً موحداً في العالم العربي»؟ وقد انقسم أعضاء لجنة المناقشة بين مؤيد ومعارض، في حوار سياسي امتد لنحو ساعة، رغم أن عليهم تقويم العملة من ناحية فنية.

هل واجهت الفكرة معارضة من الناس؟

كفكرة، لم تلقَ معارضة من أحد، باستثناء بعض أعضاء لجنة مناقشة المشروع في الجامعة. ولكن ما يؤلمني أن المشروع لم يتحقق واقعياً، ولم يتطور إلى ما يتخطى الفكرة، فكانت النتيجة أنني أُحبطت.

تصميم الطوابع

كيف اتجهت إلى تصميم الطوابع؟

في العام 2001، نظمت مؤسسة البريد في لبنان «ليبان بوست» مسابقة لتصميم طابع «ذكرى التحرير». فتقدمت بتصميمين، فاز أحدهما بالمسابقة. ومنذ ذلك اليوم، اعتمدتني المؤسسة لتصميم طوابع جديدة تصدر كطوابع تذكارية أو طوابع مالية مخصصة للبريد.

ما الذي يجعل هذا العمل مختلفاً عن التصميم الفني التجاري؟

عرفت قيمة الطوابع لأنها قادرة على التأثير في الناس أكثر من العملة أو سائر التصاميم. العملة الموحدة حلم، بينما الطوابع مشروع قائم يمكن استغلاله للتأثير في الناس والإعلان عن أفكاري ومواقفي.

■ ما يؤلمني أن مشروع «الدينار العربي» لم يتحقق على أرض الواقع

■ الطابع يعرف بهوية البلد ويعد نافذته إلى العالم وجسر تواصله مع أبناء الحضارات الأخرى

أية مواقف؟

نحن اللبنانيين نمتلك هوية خاصة. عبرت عنها في سلسلة الطوابع الأخيرة التي صممتها وأصدرتها مؤسسة «ليبان بوست» وتعبر عن صورة اللبناني الضاحكة والفرحة. كلنا نعرف وديع الصافي وفيروز، لكننا لا نعرف جميعاً صورتيهما الضاحكتين، وابتسامتيهما الدائمتين.

كيف انتقيت الصور؟

كان من المهم أن أنتقي صوراً مؤثرة تعلق في ذاكرة الناس، وتظهر الفنان أو الشاعر بأحسن حالاته. صوراً تمكّن الناس من تذكر المبدعين والاعتزاز بهم. لم تكن عملية اختيار الصور مهمة عادية، بل مهمة شاقة، لأنني أريد الصورة التي تظهرهم بأبهى حلة.. الصور التي تبرز روح الفنانين.

مشروع على طريق المتابعة

هذه الشخصيات فرضت عليك.. لو أتيحت لك فرصة اختيار الشخصيات، من تختارين؟

حرام ألاّ يُستكمل هذا المشروع. هناك العديد من الشخصيات التي يجب أن توثق صورها على طوابع، وهي شخصيات فنية وأدبية وعلماء ونحاتون وفنانون تشكيليون.

هل حازت التصاميم مباشرة موافقة اللجنة المختصة بانتقائها؟

عادة، أقدّم ثلاثة مشروعات، ولكن هناك مشروعاً بين الثلاثة أنحاز إليه، وما يفرحني أن المشروع الذي استهواني، هو نفسه الذي حاز موافقة اللجنة.

هل تصميم الطوابع فن بحدّ ذاته؟

نعم، ويحظى هذا الفن باهتمام رسمي كبير في الغرب، لكونه يوثق ثقافة البلد وحضارته.. أهمية الطابع تتمثل في أنه توثيق لحقب معينة، وحضارة وثقافة بلد، كما أنه يعرف بهوية البلد، وهو نافذة لبنان إلى العالم، وجسر تواصله مع أبناء الحضارات الأخرى.. كما أن هناك منفعة داخلية للطابع، تتمثل في دوره التذكيري بحضارة البلد برأيي. الطابع ذوالتصميم البسيط، يسهل حفظه وفهمه وتذكره. بالنسبة لي، الطابع هو جواز عبور لبنان إلى دول العالم، إذ أعتبره أول تواصل بين بلد وآخر حين تصل الرسالة.

إذا كان الطابع يتضمن دلالات كثيرة... ماذا تعتبرين تصميمه؟

مهمة وطنية. فالطابع يجب أن يكون ملائماً للثقافة اللبنانية، وأداة جمع بين اللبنانيين، وبالتالي يجب ألاّ يعبر عن فئة معينة.. فالطابع يجب أن يشبه كل الناس، ويقنعهم. ولأن الطابع صغير الحجم، يجب أن يقدم بطريقة بسيطة، ويُفهم بطريقة واضحة. الآن، بتّ أتقن أسلوب تصميم الطوابع، وقد تطورت خلال السنوات الماضية حيث صار بإمكاني فهم لغة الطابع بحرفية، خصوصاً لجهة التقنية المستخدمة، ونوع الحرف وحجمه. لذلك، أعتبر نفسي مرتاحة جداً للطوابع التي صدرت أخيراً، وأرى فيها مشروعاً ناجحاً، وهي من أهم ما صممته.

شخصية المصمم

هل يحتاج التصميم إلى إحساس مرهف؟

بحتاج إلى رؤية فنية عالية.

بمعنى آخر، هل تنجح المرأة في تصميم الطوابع أكثر من الرجل؟

من المعروف أن الرجل مبتكر أكثر من المرأة.. ولكن لكل قاعدة استثناء.

حين تقدمت بطلب المشاركة في مسابقة طابع «ذكرى التحرير»، هل تفوقت على المصممين الرجال؟

نعم، فازمشروعي علماً أنه كان هناك الكثير من المشاركين

هل تفصلين شخصيتك عن المشروعات التي تصممينها؟

أبداً.. تصاميمي تشبهني.

إذاً، هل يمكن القول إن أعمالك مرهفة ورومانسية؟

أعمالي لا تتضمن تحدياً، أنا شخصية دبلوماسية وهادئة، لذلك تشبهني طوابعي بهدوئها وبساطتها. أكره الأشياء المعقدة. التصميم الجيد يبلغه المصمم حين يصل إلى مكان لا يمكنه أن يحذف أي شيء منه. البساطة أصعب أنواع الجمال، وأنا أنحاز إلى البساطة والوضوح والرمزية.

ما مشروعك المقبل؟

أحلم بالعمل على تصميم العملة اللبنانية.

ألا تعجبك العملة المجددة؟

العملة القديمة كانت أفضل وأجمل.